التدافع الحضاري: مفهومه و آلياته.

الأستاذة: خديجة حسيني.
كلية علوم الإعلام و الاتصال.
جامعة الجزائر 3

Abstract :

This study explains the concept of the collision between Islam and the western world as one of the divine laws which depicts the nature of the relationship between the varied forces of life. The study explained both positive and negative dimensions of the law, starting with integration and complementing and ending with collision and clash. It also made diverse horizons of realms of collision which include various human concerns that shape milestones of human civilization in this life such as cultural, scientific, social, and economic and so on. Furthermore, the study turned to the outstanding means through which it is possible to surface the law of collision to accomplish the objectives of its existence, as a law among the important laws of the universe, in the life of human beings in their interaction with the universe and religion. This study relied on the semantics of the Arabic language and its vocabulary, application of reason and reflection, guidance of Share'ah and its written records, and data of ordinary life and its ups and downs in a theoretical way without exploring applicative details and field analysis.

Therefore, this study is characterized with addressing the law of collision from general Islamic perspective to contribute as an integral and complimentary study to what has been previously accomplished in the field.

مقدمة

عرفت فكرة " صدام الحضارات" لصاحبها صموائيل هنتغتون* **Samuel P. Huntington**، اعتراضا كبيرا و تعليقات عدة أثبتت نقاط الضعف و الهوان ومواطن الخطأ و الزلل فيها، فقد اتهم هنتغتون بأنه حرّف التاريخ و زيّف تفسير

حوادته من أجل إعطاء مبرر موضوعي لفكرته القائمة على الصدام و الصراع، يقول الدكتور **محمد عبد القادر حاتم** :"إن تفسير هنتغتون و تاريخه للسنوات الألف و أربعمائة الماضية تفسير مغلوط استخدمه لإثبات صحة رأيه..."[1]

و من بين المفاهيم التي طرحت على الساحة السياسية و الفكرية العالمية خاصة من قبل مفكري و باحثي العالم الإسلامي، و الذين يحاولون من خلالها إعطاءً وصفًا صحيحًا لطبيعة العلاقة القائمة بين الحضارات و الدول، و بوجه التحديد بين الحضارة الإسلامية و الحضارة الغربية، نجد مفهوم " **التدافع الحضاري** " الذي هو بالدرجة الأولى مفهومًا قرآنيًا صحيحًا صحة القرآن الكريم.

و سنحاول هنا إعطاء صورة وافية عن مفهوم التدافع الحضاري باعتباره مفهوم يحتاج إلى الكثير من البحث و التمحيص.

1-مفهوم التدافع.

إنّ لفظ التدافع مشتق لغة من الفعل " دفع " ، و الذي يعني " الإزالة بقوة، دفعه يدفعه دفعًا و دفاعًا و دافعه و دفّعه فاندفع و تدفّع و تدافع، و تدافعوا الشيئ: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه، و تدافع القوم أي دفع بعضهم بعضًا..."[2]

و هو لفظ قرآني و رد في مواضيع عدة من التنزيل الحكيم، ففي سورة **البقرة** قال الله تعالى :"...و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكن الله ذو فضل على العالمين"[3]

و قد جاء تفسير هذه الآية في تفسير **ابن كثير** " أي لولا الله يدفع عن قوم بآخرين كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت و شجاعة داود لهلكوا...أي (الله) ذو منّ

---

* **صاموئيل هنتغتون** مفكر استراتيجي، يهودي الديانة أمريكي الجنسية يعمل مديرًا لمعهد "جون . م. أولين" للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد الأمريكية، و المقربين إلى دوائر صنع القرار بالإدارة الأمريكية، **محمد عمارة**، الحضارات العالمية تدافع؟.. أم صراع؟؟، ط2؛ القاهرة: شركة نهضة مصر، 2006م،ص 22.

[1]-**محمد عبد القادر حاتم**،العولمة مالها..و ما عليها، القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب،1426هـ، 2005م،ص 477.

[2]-**ابن منظور**، ، لسان العرب المحيط، بيروت: دار الجيل ، دار لسان العرب، 1408هـ 1988م، مج3 ، ص 991.

[3]-سورة **البقرة**، الآية 251.

عليهم و رحمة بهم يدفع عنهم ببعضهم بعضا و له الحكم و الحكمة و الحجة على جميع أفعاله و أقواله."[4]

و في منحى آخر من أساليب التفسير الحديثة للقرآن الكريم، نجد **سيد قطب** يعطي لهذه الآية بعدا آخر يتماشى و المعنى المراد الوصول إليه، حيث يقول : " و هنا تتكشف على مد البصر ساحة الحياة المترامية الأطراف تموج بالناس، في تدافع و تسابق و زحام إلى الغايات.. و من ورائها جميعا، و تقود الموكب المتزاحم المتضارع المتسابق، إلى الخير و الصلاح و النماء، في نهاية المطاف.

لقد كانت الحياة كلها تأسن و تتعفن لولا دفع الناس بعضهم ببعض. و لولا أنّ في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم و اتجاهاتهم الظاهرية القريبة، لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم و تتغالب و تتدافع، فتنفض عنها الكسل و الخمول، و تستجيش ما فيها من مكونات مذخورة..."[5]

أما الموضع الثاني، فكان في سورة **الحج**، قال الله عز و جل :" إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا إنّ الله لا يحبّ كلّ خوّان كفور"[6]

و يعني ذلك " إنّ الله يدافع عن عباده المؤمنين، و يصرف عنهم شر الأشرار، و كيد الفجار، إن هم أطاعوا الله، و استمسكوا بدينهم، إنّه تعالى يبغض كل خائن فاجر، كثير الفجور و الآثام، و جاحد لنعمة الرحمان، و صيغة (خوان) و (كفور) من صيغة المبالغة، أي كثير الخيانة و كثير الكفر و الجحود."[7]

و قوله الله تعالى : "...و لولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لّهدمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا و لينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقويّ عزيز"[8]

و فسّرها **ابن كثير** " أي لولا أنه يدفع بقوم عن قوم، و يكف شرور أناس عن غيرهم بما يخلقه و يقدره من الأسباب، لفسدت الأرض و لأهلك القوي الضعيف...لهدمت

---

[4]-**ابن كثير**، تفسير القرآن العظيم،ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، 200م ،مج 01 ، ص 407 ، 408 .

[5]-**سيد قطب**، في ظلال القرآن، ط25؛ القاهرة: دار الشروق، 1417 هـ ، 1996م ، ص270.

[6]-سورة الحج، الآية 38.

[7]-**محمد علي الصابوني**، التفسير الواضح الميسّر،ط4؛ بيروت:المكتبة العصرية، 1424 هـ، 2003م، ص827.

[8]-سورة الحج، الآية 40.

صوامع الرهبان و بيع النصارى و صلوات اليهود، و هي كنائسهم، و مساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا..."[9]

و هناك آيات قرآنية أخرى تعطي لمفهوم التدافع مدلولات واسعة، يضيق المجال هنا لذكرها جميعًا، فعلى سبيل المثال، حينما يفيد لفظ " التدافع" معنى التعايش في قوله الله عز و جل: " و لا تستوي الحسنة و لا السّيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الّذي بينك و بينه عداوة كأنّه وليّ حميم"[10]

و معنى الدفاع و القتال، في قوله تعالى : " و ليعلم الّذين نافقوا و قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا..."[11]

و معنى الرّد بالحجة في قوله عز و جل :" ادفع بالّتي هي أحسن السّيّئة نحن أعلم بما يصفون "[12]

و إلى هذا ذهب الدكتور جمال عبد العزيز أحمد حينما عرّف التدافع بقوله: " و التدافع يحمل معنى التزاحم و الحركة و التموج، لكنّه لا يحمل معنى التناحر و التكالب و الإفناء، إنما يحمل دلالة مؤدّاها الردّ بالحجة."[13] و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنّ مفهوم "التدافع" يحتمل معان و مدلولات كثيرة.

2-مفهوم الحضارة.

إنّ المتتبع لمفهوم الحضارة في اللغة العربية يجده مشتق من الفعل "حضر كنصر و علم، حضورا و حضارة: ضد غاب...و الحضارة، ويفتح خلاف البادية، و الحضارة: الإقامة في الحضر..."[14]

وهذا يعني أنَ مفهوم الحضارة في المعاجم و القواميس العربية ، جاء دائما خلاف البداوة، و في هذا السياق حدّدت **الموسوعة العربية العالمية** مفهوم الحضارة بأنها "طريقة حياة نشأت بعد أن بدأ الناس يعيشون في مدن أو مجتمعات نظمت في

---

[9]-**ابن كثير**، المرجع السابق، مج 03 ،ص 286 ، 287.

[10]-سورة **فصّلت**، الآية 34.

[11]-سورة **آل عمران**، الآية 167.

[12]-سورة **المؤمنون**، الآية 96.

[13]-**جمال عبد العزيز أحمد**، من السنن الإلهية في القرآن الكريم، قانون التدافع الحضاري، www.alukah.net/12.12.2013/14:19 ص 03.

[14]-**الفيروز أبادي** ، القاموس المحيط ،ط6، بيروت : مؤسسة الرسالة ،1419هـ ، 1997م،ص376.

شكل دول. الحضارة تشمل الفن و العادات و التقنية و شكل السلطة و كل شئ آخر يدخل في طريقة حياة المجتمع"[15]

وهو ما ذهب إليه الدكتور **محمود حمدي زقزوق** في كتابه **الحضارة فريضة إسلامية**،حيث يقول:"أنَه يعني نقيض البداوة، و هذا بدوره يعني أسلوبا مختلفا في التعامل مع الناس و الأشياء، و نقلة فكرية أيضا لما بين مجتمع البداوة و مجتمع الحضر مع فروق....و من كل ذلك يتضح أن مفهوم الحضارة مرتبط بمفهوم التقدم، فالحضارة إذن نقلة تقدمية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى: تقدمية في الفكر وفي السلوك و في أسلوب التعامل مع الناس و الأشياء، و هذا كله في إطار منظومة من القيم تتعدى الإطار القبلي الضيق إلى دائرة الإنسانية الأوسع و الأرحب."[16]

بينما يستخدم لفظ الحضارة في اللغات الأجنبية لدلالة على معان كثيرة تتداخل فيما بينها "فالحضارة و المدنية و الثقافة مصطلحات تختلط دلالاتها في الفلسفات الغربية، وهي مصطلحات جديدة تماما عليها عليها، فكلمة civilisation يأتي استخدامها لأول مرة سنة 1704 بمعنى التمدن...و أما الحضارة فهي معنى يأتي بعد هذا التاريخ..."[17]

ويعود أصل كلمة civilisation إلى اللغة اللاتينية، و هي مشتقة من "civitos بمعنى المدنية أو civis بمعنى مدني أو ساكن المدينة حيث تقوم الحياة المتحضرة عادة في المدن و بين الحضر، أي ساكن المدن لما يتوفر في المدن من ثروات تجارية أو صناعية فضلا عن الانجازات البشرية من اختراعات..."[18]

و من ناحية أخرى، فإن هناك اختلافا واضحا بين الدارسين و الباحثين في هذا المجال، حيث يميز بعضهم بين مفهوم كل من الحضارة و المدنية و الثقافة، و جعلوا

---

[15]-الموسوعة العربية العالمية،ط2،الرياض:مؤسسة أعمال الموسوعة،1419هـ،1999م،ص423.

[16]-**محمود حمدي زقزوق**،الحضارة فريضة إسلامية،القاهرة:الهيئةالمصرية العامة للكتاب،2007م،ص19.

[17]-**عبد المنعم الحفي**،المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة،ط3،القاهرة:مكتبة مدبولي،2000م،ص301.

[18]-**أحمد محمود صبحي**، صفاء عبد السلام جعفر، في فلسفة الحضارة (اليونانية،الإسلامية،الغربية)،ط1،بيروت:دار النهضة العربية،1999م،ص06.

لكل واحد منها معنى خاص به، " فالأولى متعلقة بالجوانب العملية و المادية، بينما اختصت الثقافية بالجوانب الفكرية..."[19]

كما حدّد **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة** الفرق بين الحضارة و المدنية، فجاء فيه ما يلي "... و الحضارة إذن هي حركة التمدّن للمجتمع ككل، و إذا كان ذلك معنى الحضارة فإن مصطلح المدنية صار ينصرف إلى الجانب المادي من الحضارة..."[20]

و لا يمكن أن نغفل – و نحن بصدد تحديد مفهوم الحضارة – عن التعريف الذي قدّمه **دل دايريل ديورانت Del dayeril Dyourant** صاحب كتاب " قصة الحضارة " باعتباره من أضخم و أهم المؤلفات التي تناولت بالبحث و الفحص مختلف حضارات البشرية، فقد عرّف الحضارة بأنها " نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، و إنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، و النظم السياسية، و التقاليد الخلقية، و متابعة العلوم و الفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب و القلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع و عوامل الإبداع و الإنشاء، و بعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة و ازدهارها."[21]

و في عصرنا الحالي، تتجلى بوادر حضارة جديدة، أحدثت تغيرات كبيرة على مختلف الأصعدة و المستويات، فقد " أتت على الإنسان موجتان عظيمتان من التغيير، أطبقت كل منها على الثقافات السابقة و بدلت الحضارات السالفة بطرق مستجدة على الحياة لا يستطيع إدراكها من جاء قبلهم، استغرقت الموجة الأولى – موجة الزراعة – آلاف السنين حتى تستقر و تكون نظاما للحياة، و جاءت الموجة الثانية – موجة الصناعة- و بقيت لثلاثمائة عام لتبني حضارة الصناعة، و لكن في عصرنا الحاضر، العصر المتسارع، فإن الموجة الثالثة ستكتسح التاريخ و يكفيها قرون عدة لتستكمل مقوماتها و تستقر و تبدأ الحضارة التالية."[22]

---

[19]–**دل دايريل ديورانت**،قصة الحضارة، ترجمة: **محمد بدران**، بيروت:دار الجيل، 1419هـ، 1998م،مج01،ص 07.

[20]–**عبد المنعم الحفني**، المرجع السابق ، ص 301.

[21]–**دل دايريل ديورانت**، المرجع النفسه، ص 03.

[22]–**محمد صادق صبور**،مستقبل الحضارة الإنسانية،ط1 ؛ القاهرة:دار الأمين،1421هـ،2001م،ص08.

و من خلال ما تمّ عرضه، يتضح أن مفهوم الحضارة، مفهوما مرنًا و خصبًا، تتسع أبعاده و يتطور بتطور العصور و الأزمنة.

3- تعريف التدافع الحضاري.

إنّ التدافع الحضاري رؤية إسلامية للعلاقة بين الحضارات و ردًا علميًا على بعض الكتابات الفكرية و الإيديولوجية الغربية التي طغت عليها النزعة الصراعية والتي تنادي بالصدام الحضاري و جعله حتمية تاريخية لا مفر منها، كما هو محاولة جادة لتعديل موقف المتبنين لحوار الحضاري من بعض مفكري العالم الإسلامي، يقول الدكتور **محمد عمارة** :" و البديل الإسلامي لصراع الحضارات، ليس حالة ((السكون)) في علاقات الحضارات بعضها بالبعض الآخر، لأنّ في السكون ((مواتا)) ، ربما أفضى إلى ((التبعية و التقليد))، اللذين ينتهيان إلى الواحدية و المركزية الحضارية ..و إنّما البديل الإسلامي لفلسفة الصراع، و هو ((فلسفة التدافع)) بين الحضارات.."[23]

و من هنا " تأتي الرؤية الإسلامية التي تطرح موقفًا ديناميكيًا يبدأ بالحوار و ينتهي بالصدام مرورًا بالجدل و المنافسة و السبق و المواجهة و المغالبة..."[24]

و هذا يعني أنّ مفهوم التدافع الحضاري يحتمل معنى الصراع كما يحتمل معنى الحوار، فهو مفهوم " ...واسع يشمل كل المعاني المطروحة في الساحة الفكرية و السياسية و الفلسفية. فهو إمّا تدافع محدود " خفيف " و بالتالي فهو يعني الحوار و التعايش. كما تتم صراعات تدافعية، بمعنى صدام الحضارات، و قد يتم ذلك من خلال عمليات قوية و مفاجئة، و هو ما يعرف بالصدمة. و قد يتمّ التدافع العنيف، و هو صراع الحضارات، حيث يصل الأمر إلى صراع مسلح بين الأمم و الحضارات، وهو ما نشاهده اليوم في مختلف بقاع العالم."[25]

و قد اختزل الدكتور **سامي محمد الدلال** أبعاد التدافع الحضاري في البعد العقائدي، و يعود ذلك إلى أهمية الدين في تحريك و تفعيل العلاقات بين الأفراد والجماعات و الدول، حيث قال: " أقصد به تدافع أصحاب العقائد فيما بينهم، وتصاعد على إثبات ذواتهم و تحصيل مصالحهم، إنّه تدافع واسع عام يشمل

---

[23] -**محمد عمارة**، المرجع السابق، ص 18.

[24] -**مجدي قرقر**، "التدافع الحضاري بديلا عن الصراع . 23: 12/14.12.2013 www.alarabnews.com/"

[25] - **غيات بوفلجة**، "التدافع الحضاري"، 30: www.asharqalarabi.org.uk/07.12.2013/13

الأفراد و الجماعات و القبائل و الأحزاب و الشركات و المؤسسات و الدول و الشعوب و التحالفات و التكتلات، فهو تدافع عام و تصارع شامل يغلف البشرية بأسرها."[26]

و يعدّ التدافع الحضاري أحد السنن الإلهية الهادفة إلى الحفاظ على صلاح الأرض وحمايتها من الفساد، و هي الغاية التي دلّت عليها آيات القرآن الكريم*، و يذهب الدكتور **معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتح بيانوني** إلى إعطاء تعريف مفصّلًا حيث يقول: " طريقة الله تعالى في توجيه التفاعل بين القوى المتعددة بحيث يؤثر كل منها في الآخر و يتأثر به، إيجابًا أو سلبًا، و ذلك بصورة مستمرة و متتابعة،تسهم في تحقيق التوازن بينها أولًا، و تنتهي بظهور بعضها على البعض الآخر.

فبتدافع القوى تتحقق المعادلة بين قوى الخير فيما بينها، و قوى الشر فيما بينها أيضًا، و تأخذ كل قوى محلها و مكانها، إيجابًا في تحقيق التوازن في العلاقة بين المتضادات نحو التصادم و التصارع، حيث تنقضي بعض هذه القوى في عملية التدافع و تبرز قوى أخرى، فتكون لها الريادة و السبق و الظهور، و هكذا دوليك، ليستمر التوازن قائمًا في فاعلية سنة التدافع بين الناس في الحياة."[27]

4-<u>آليات التدافع الحضاري.</u>

نقصد بآليات التدافع الحضاري، مختلف الوسائل و الأساليب المادية و المعنوية التي يستخدمها الأفرد أو المجتمعات أو الدول أو الشعوب بغية نشر أو تبادل أو دفاع أو حماية...فكرة أو قيمة أو معتقد أو دين...، و قد حدّد الدكتور **معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتوح بيانوني** وسائل التدافع في ثلاث آليات و وسائل أساسية، وتمثلت في مايلي:

<u>أ-الآليات القلبية أو العاطفية:</u>

يعتبر الصبر و من أهم الوسائل العاطفية لما يمنح النفس البشرية من قوة لتحمل مصعب الدنيا، و الصمود أمام المشاكل و الأزمات، وما يقال على الفرد ينطبق على المجتمعات و الدول.

---

[26]–**سامي محمد الدلال**، الإسلام و العولمة..المنازلة_العالمية الإسلامية و العولمة البشرية بين السنن الربانية و التدافع الإنساني،ط1؛ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1425هـ 2004م،ص 81.

*انظر تفسير الآية 251 من سورة البقرة، و الآيتين 38 و 40 من سورة الحج في الصفحة رقم

[27]– **معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتوح بيانوني**،"سنة التدافع من منظور إسلامي"، مجلة **<u>الإسلام في آسيا</u>**، المجلد 8 ، العدد 1،يونيو 2011 ، ص 135.

"و الصبر يحتاجه الإنسان في تدافعاته الداخلية بين دواعي الخير و الفطرة السليمة،...إضافة إلى الحاجة إليه في الحياة و ظروفها و تحدياتها الشديدة"[28] ، و من هنا جاء التوجيه القرآني إلى أهمية الصبر، قال الله تعالى: **و استعينوا بالصبر والصلاة و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين**[29]

و من مستلزمات التدافع أيضا ، الفداء و التضحية اللذين يعدان من الوسائل القلبية الفعالة " التي ينبثق عنها مواقف و مجاهدات عملية، فقد وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه و سلم و المؤمنين معه بالتضحية و البذل و العطاء."[30]

فقد قال الله عز و جل: **لكن الرسول و الذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم و أولئك لهم الخيرات و أولئك هم المفلحون**[31]

ب -الآليات الفكرية و العقلية.

تنقسم الوسائل العقلية و الفكرية إلى مجموعة من الوسائل أهمها التخطيط والتي تعني " وضع الطرق المناسبة للوصول الأمثل إلى تحقيق الغايات و الأهداف، وفقا للإمكانيات، وتنظيمها وترتيبها و كتابتها."[32]

و يأتي الترتيب في المرتبة الثانية من الأهمية، و الذي نقصد به "وضع الشيء في مرتبته و تتبيثه في مكانه المناسب من الخطة"[33]

والاستعانة بهاتين الوسيلتين تنصّب في منتهى الحكمة، حيث لا يستقيم أمرا دون تخطيط و ترتيب مسبقين، فالتهور و الصدفة يحولان الأمر إلى فوضى عامرة.

و يعتبر الحوار و التفاوض أسلوبين هامين من أجل تدافع القوى، و اللذين يعملان على تقاربها و تفاهمها بدلا من صراعها، فليس بالضرورة أن تتصارع القوى، يقول الشيخ **يوسف القرضاوي**:"إن الصراع بين الحضارات ليس ضرورة توجبها طبيعة

---

[28]- **معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتوح بيانوني**،المرجع السابق ، ص 150.

[29]-سورة **البقرة**، الآية 45.

[30]-المرجع نفسه،ص 151.

[31]-سورة **التوبة** الآية 88.

[32]-**ابن منظور**، المرجع السابق، ج7،ص287.

[33]-المرجع نفسه،ج1،ص409-410.

اختلاف الحضارات، فقد تستطيع الحضارات المختلفة أن تتحاور و أن تتعايش، و لا تتصارع، بل يأخذ بعضها من بعض عن طريق التلاحق و التبادل."[34]

ج -الآليات الفكرية و العملية:

تتنوع هذه الوسائل بتنوع المواقف و الأهداف، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، يبقى التعاون " وسيلة من أهم الوسائل التي تبرز صورة التكامل و الانسجام بين الناس، سواء كان هذا التعاون في سبيل الخير، أو كان في سبيل الشر، فالتعاون و التظاهر وسيلة من وسائل التدافع السلمي بين الأطراف المختلفة، يسعى إليه المتفقون لتحقيق أهداف مرحلية، أو الوصول إلى غايات مشتركة فيما بينهم."[35]

قال الله تعالى: ...وتعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الإثم و العدوان و اتقوا الله إنّ الله شديد العقاب[36]

و من وسائل التدافع العملية أيضا التكتل و التجمع من أجل التقارب و التفاهم " فإذا كان التعاون و المظاهرة يتم بالتوافق و المساندة المادية و المعنوية، و لا يلزم منه التجمع و التكتل، فإن التجمع و التكتل يلزم منه الاجتماع و الوحدة العملية، وتوجيه القوى نحو التدافع في مجالاتها المتنوعة"[37]

و تشير المداراة و المجاملة –باعتبارهما وسيلتين من وسائل التدافع- إلى " الملاينة والمداجاة في الظاهر و إن لم تكن المحبة و الصفاء في القلب."[38]

إذ في كثير من الأحيان، لا ينبغي أن يعبر عن المواقف و الآراء بكل صراحة و شدة، بل من المستحسن أن يستخدم اللطف و اللين من أجل تحقيق المصالح و الأهداف في إطار التدافع بين الأفراد و الدول و الحضارات.

و تعدّ المنافسة و آلية هامة من آليات التدافع الحضاري، " فالتنافس بين الناس محرك من محركات التدافع بينهم، حيث يسخر كل طرف إمكاناته، و يوجه طاقاته

---

[3]–**يوسف القرضاوي**، المسلمون و العولمة، القاهرة: دار التوزيع و النشر الإسلامية، 1421هـ، 2000م،ص 116،117.

[35]–**معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتوح البيانوني**، المرجع السابق، ص152.

[36]–سورة **المائدة**، الآية 02.

[37]–**معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتوح البيانوني**، المرجع نفسه،ص 153.

[38]–المرجع نفسه،ص 153.

وقدراته للسبق في تحقيق ما يصبو إليه، و الحصول على رغباته قبل غيره، أو الاستئثار و التفرد به دون الآخرين."[39]

و يعبر عن العلاقة بين الأفراد و القوى القائمة على الإفادة و الاستفادة بالتسخير و الاستسلام و هما وسيلتين أساسيتين من وسائل التدافع الحضاري، بحيث يضمنان الحركية ، حينما يكون هناك دائما قوي و ضعيف و غني كريم و فقير محتاج و حاكم و محكوم ...و هو عبر عنه النص القرآني، في قول الله تعالى: ليتخذ بعضهم بعضا سخريا[40]

و تمثل الهجرة و التنقل من مجتمع إلى آخر، من الآليات الهامة للتدافع الحضاري لما تتميز به من القدرة على نشر الثقافات و تبادلها بين المجتمعات و الدول، " فبالهجرة و التنقل يحافظ الإنسان على حقوقه، و بها ينشر رسالته، و من خلالها ينمي خبراته، و يتعرف على من يشاركه في رسالته و أهدافه، فهي مظهر من مظاهر الحراك التدافعي بين الناس."[41]

و إن كانت الآليات و الوسائل السابقة سلمية تبثت نجاعتها في حالات كثيرة، فإنه في بعض المواقف و الظروف لا تفيد و لا تصلح لطبيعة تلك المواقف الصدامية، و التي تفرض نمط آخر من الوسائل و الآليات و الذي يتجسد في القتال و المواجهة، " و هما من أقدم آليات التدافع و أخطرها أثرا، حيث عرف التاريخ البشري مواجهات كثيرة، و حروب طويلة، منها الديني و منها الاجتماعي، و منها الاقتصادي...، قبل الإسلام وبعده، فكان من هذه الأحداث ما يتوافق مع القيم و المبادئ الإنسانية و الإسلامية، و منها ما يتعارض معها."[42]

خاتمة:

و من هنا يتبين لنا أنّ التدافع الحضاري صيرورة تتميز بالحركية و الدوام، تصبغ مظاهر الحياة كلها و على جميع المستويات، بدءً بالأفراد و وصولًا إلى الدول و الحضارات، و أنّ آلياته تتراوح مستوياتها من العاطفية إلى العقلية و العملية، يتم استخدامها على حدا أو مجتمعة حسب الحاجة و الظروف.

---

[39]-المرجع نفسه،ص 153.

[40]-سورة **الزخرف**، الآية 32.

[41]-**معاذ بن محمد عبد الله أبو الفتوح البيانوني**، المرجع نفسه،ص 154.

[42]-المرجع نفسه،ص154.